ملك السلام

الحوار في فكر ونهج خادم الحرمين الشريفين

خادم الحرمين الشريفين شخصية قيادية فذة تتمتع بروح إنسانية راقية، وصراحة ومصداقية عالية، يؤمن بالمبادئ الإنسانية النبيلة والخيرة، ويتحدث ويعمل بإخلاص من أجلها. وهو رجل إصلاح وسلام وتعاون. جعل الحوار نهجه الشخصي والسياسي، واتبعه على المستوى الوطني والعربي والإسلامي والعالمي لتحقيق التفاهم بين البشر وحفظ الكرامة والأمن الإنساني.

إن منهج الحوار متأصل في فكر وممارسة خادم الحرمين الشريفين. فقد دأب منذ توليه لمسئوليات الحكم السعودي، كولي عهد بعد مرض الملك فهد -رحمه الله- في بداية عام ١٩٩٦م ثم كملك في ١ أغسطس ٢٠٠٥م، على ترسيخ منهج الحوار وجعله حجر الزاوية في سياساته المحلية والدولية. وانعكس ذلك في دعوته للحوار بين الأديان والثقافات والحضارات، والتي كان لدوره الشخصي أثر كبير في تبني وتفعيل هذا الحوار العالمي وتحويله إلى واقع عملي.

خادم الحرمين الشريفين قائد يمثل صوت وقوة اعتدال راسخة في منطقة مضطربة، يدرك ويواجه مسئولياته بشجاعة وصراحة وإصرار، لا يجامل ولا يستجيب لأي صوت متطرف من أي اتجاه كان. وهو يدرك مسئولياته كقائد للمملكة وكزعيم عربي وإسلامي وعالمي، ويقوم بمهامه وأعماله في كل دائرة منها بانسجام وتكامل، وتوجهاته وسياساته، القائمة على الحوار والدبلوماسية البناءة، تصب في صالح تعزيز السلام والتعاون العالمي.

وتنبع أهمية وثقل مبادراته وجهوده المستمرة من أجل دعم الحوار والتفاهم وتعزيز السلام والتعاون العالمي من عدة اعتبارات أساسية، يأتي في مقدمتها:

أولاً: المكانة القيادية التي تمتع بها الملك عبدالله كخادم للحرمين الشريفين وكحاكم للمملكة العربية السعودية. قلب العالم الإسلامي وحاضنة المقدسات الإسلامية ذات الحظوة والتقدير الخاص جزء كبير وحيوي من البشرية، يبلغ ملياراً ونصف مليار مسلم.

ثانياً: المكانة الشخصية لخادم الحرمين الشريفين بين قادة العالم وشعوبه، وشخصيته الصادقة والمخلصة التي جعلته

يحظي بتقدير وتأثير كبيرين على المستوى الوطني والعربي والإسلامي والعالمي. وقد صنف تقرير مجلة نيوزويك، في عدد ٥ يناير ٢٠٠٩م، ترتيبه العاشر بين أقوى ٥٠ شخصية عالمية تمثل «نخبة العالم».

ثالثاً: التوقيت الهام والحساس لدعوته للحوار، فقد جاءت كمبادرة جريئة في وقتها وفي أمس ما تكون حاجة العالم إليها، وذلك في مرحلة حرجة في السياسة الدولية نتجت عن تداعيات أحداث سبتمبر ٢٠٠١م وتفاقم مشاعر الكراهية وحدة التوتر السياسي والثقافي العالمي. وفي هذا الصدد، صرح الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون، في المؤتمر الصحفي في ختام اجتماع «الحوار بين الأديان والتعاون من أجل السلام» في الاجتماع الإستثنائي للجمعية العامة للأمم المتحدة في نوفمبر ٢٠٠٨م، وقال ما نصه:

«جاءت مبادرة الملك عبدالله في وقت هو أحوج ما نكون فيه للحوار بين أتباع الأديان والثقافات والحضارات، فقد جمعت أشخاصا لن تتوفر لهم فرصة للاجتماع، وستساعد هذه المبادرة إلى جانب المبادرات الأخرى لبناء عالم أكثر تجانسا».

رابعاً: الصدى والقبول الواسع الذي لقيته دعوته للحوار، وما تبعها من خطوات عملية ولقاءات دولية هامة تهدف لتفعيل ومأسسة هذا الحوار، وما يشكله نهج الحوار من أمل في أن يكون آلية مستقبلية تساهم في تعزيز التفاهم المتبادل وتخفيف حدة التوتر العالمي.

وفيما يلي تفصيل يبين أبرز مبادرات خادم الحرمين الشريفين وجهوده المستمرة على المستوى العالمي في تأصيل الحوار والتفاهم بين الأديان والثقافات، وتعزيز السلام والتعاون العالمي، ومكافحة الإرهاب، وتوفير الطاقة وحماية البيئة، ومساعدة الدول النامية ومكافحة الفقر. وكذلك أبرز مبادراته وجهوده على المستوى الوطني والتي تنسجم وتتكامل مع جهوده الدولية. وهذه الأعمال تشكل في مجملها وحدة مترابطة تعبر عن أصالة نهجه وسياسته، وتؤكد أن خادم الحرمين الشريفين هو ملك السلام وقائد مملكة الإنسانية.

بادر خادم الحرمين الشريفين لتبني نهج الحوار بين أتباع الديانات والثقافات والحضارات التي تتكون منها الأسرة البشرية. ولم تقف مبادرته عند مستوى الطرح الفكري، بل تبعتها خطوات عملية حثيثة تسعى لتحقيقها في أرض الواقع. وقد سارت هذه المبادرة في مسارين متوازيين، أحدهما سياسي والآخر ثقافي ومجتمعي. وفيما يلي أبرز ما نتج عنها:

× على المسار السياسي، عقدت اللقاءات الدولية التالية:

× القمة الإسلامية الاستثنائية في مكة المكرمة (ديسمبر ٢٠٠٥م) بدعوة خادم الحرمين الشريفين، والتي أكدت مجددا على إجماع الدول الإسلامية على نبذ العنف والتطرف والإرهاب، ونشر قيم الحوار والتسامح والاحترام المتبادل، ودعمهم لمبادرة حوار الأديان والثقافات.

× الاجتماع الاستثنائي للجمعية العامة للأمم المتحدة مؤتمر «الحوار بين الأديان والتعاون من أجل السلام» في نيويورك (نوفمبر ٢٠٠٨م)، لتوفير أوسع وأعلى دعم سياسي ممكن لجميع مبادرات الحوار والتفاهم ونشر ثقافة السلام.

× وعلى المسار الثقافي المجتمعي، عقدت اللقاءات الدولية التالية:

× المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار في مكة المكرمة (مايو ٢٠٠٨م)، واجتمع فيه علماء الدين المسلمين، بكافة مذاهبهم وطوائفهم، لترسيخ حقيقة الدين الإسلامي ورسالته القائمة على الحوار والسلام.

× «المؤتمر العالمي للحوار بين الأيان السماوية» في مدريد (يوليو ٢٠٠٨م) والذي ضم ممثلين عن جميع الأديان الرئيسية، ونتج عنه «إعلان مدريد» الذي تضمن عددا من المفاهيم المشتركة والمبادئ التي يمكن الانطلاق منها نحو حوار جاد وهادف ومثمر بين المجموعات الحضارية والدينية المكونة للأسرة البشرية.

× اجتماع «لجنة متابعة حوار أتباع الأديان» في فيينا (يوليو ٢٠٠٩م).

× تجري الآن جهود حثيثة لتأسيس مركز عالمي للحوار بين أتباع الأديان حسبما اقترح خادم الحرمين ليضم ممثلين عن جميع الأديان الأساسية، ويعمل بكل استقلالية بمعزل عن أية تدخلات سياسية.

× واكب ما سبق، تحركات دبلوماسية واسعة كان من أهم أهدافها الرئيسية تعزيز مبادرة الحوار:

مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار العالمي حظيت بترحيب عالمي وتبناها قادة العالم والشعوب المحبة للسلام.

الحوار في فكر ونهج خادم الحرمين الشريفين

× حوارات مستمرة على مستوى ثنائي:

١- الحوار السعودي الصيني.

٢- الحوار السعودي الياباني.

٣- الحوار بين المملكتين (السعودية والبريطانية).

× زيارات خادم الحرمين الشريفين الخارجية للعديد من الدول، منها:

١- زيارة الفاتيكان (نوفمبر ٢٠٠٧).

٢- جولات أوروبية (٢٠٠٦- ٢٠٠٧).

٣- جولة آسيوية (٢٠٠٦).

٤- زيارات الولايات المتحدة الأمريكية (أبريل ٢٠٠٥، مايو ٢٠٠٨).

٥- زيارات العديد من قادة العالم للمملكة، ومناقشة مبادرة الحوار كبند رئيسي في اجتماعاتها.

٦- هذا بالإضافة إلى المساهمة في تعزيز ثقافة الحوار من خلال المشاركة الفاعلة في المؤتمرات واللقاءات الدولية المختلفة.

«جئتكم من مهوى قلوب المسلمين، من بلاد الحرمين الشريفين حاملاً معي رسالة من الأمة الإسلامية، ممثلة في علمائها ومفكريها الذين اجتمعوا مؤخرا في رحاب بيت الله الحرام، رسالة تعلن أن الإسلام هو دين الاعتدال والوسطية والتسامح، رسالة تدعو إلى الحوار البناء بين أتباع الأديان، رسالة تبشر الإنسانية بفتح صفحة جديدة يحل فيها الوئام بإذن الله محل الصراع».

«علينا أن نعلن للعالم أن الاختلاف لا ينبغي أن يؤدي إلى النزا ع والصراع، ونقول إن المآسي التي مرت في تاريخ البشر لم تكن بسبب الأديان، ولكن بسبب التطرف الذي ابتلي به بعض أتباع كل دين سماوي، وكل عقيدة سياسية».

من كلمة الملك عبدالله بن عبدالعزيز في المؤتمر العالمي للحوار، مدريد (يوليو ٢٠٠٨م).

«إن اهتمامنا بالحوار ينطلق من ديننا وقيمنا الإسلامية، وخوفنا على العالم الإنساني، وإننا سنتابع ما بدأنا ونمد أيدينا لكل محبي السلام والعدل والتسامح».

من كلمة الملك عبدالله بن عبدالعزيز في مؤتمر الحوار بين الأديان والتعاون من أجل السلام»، الاجتماع الاستثنائي للجمعية العامة للأمم المتحدة، نيويورك (نوفمبر ٢٠٠٨م).

يتفاعل خادم الحرمين الشريفين بإيجابية مع أي جهود دولية أو إقليمية تبذل لتعزيز السلام والتعاون الدولي في المنطقة والعالم، وهو يمثل زعامة ومرجعاً رئيسياً يطلب رأيه ودعمه للجهود الدولية. كما أن الملك عبدالله يتبني دبلوماسية فاعلة تجاه قضايا السلام والتعاون الدولي والإقليمي، وله مبادرات وجهود متميزة في هذا المجال، تؤكد تسامحه وسعيه لاحتواء الخلافات والنزاعات وأصالة توجهه للحوار والتفاهم، منها على سبيل المثال ما يلي:

× المبادرة العربية للسلام التي طرحها خادم الحرمين الشريفين (عندما كان وليا للعهد) وتبنتها القمة العربية في بيروت (مارس ٢٠٠٢م)، ولا تزال هذه المبادرة

مطروحة كحل شامل للمشكلة الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي.

× الوساطات المعلنة في النزاعات الإقليمية وجمع القوى المتنازعة للمصالحة:

١- حل قضية لوكربي برضا الأطراف المعنية، ورفع الحصار عن ليبيا (١٩٩٨-١٩٩٩).

٢- اتفاق السودان وتشاد في الرياض (مايو ٢٠٠٥).

٣- اتفاق مكة بين الفرقاء الفلسطينيين (فبراير ٢٠٠٧).

٤- اتفاق المصالحة الوطنية الصومالية في جدة (سبتمبر ٢٠٠٧).

٥- الجهود المستمرة والبناءة للتقريب بين الفرقاء في لبنان.

٦- جهوده المستمرة في دعم الحقوق الفلسطينية والتخفيف من معاناة الشعب الفلسطيني وحل القضية الفلسطينية بشكل عادل ومن خلال الشرعية الدولية.

٧- تسامحه ومبادرته في قمة الكويت للمصالحة العربية (يناير ٢٠٠٩).

× مبادرته في إنهاء اتفاقية الحدود السعودية اليمنية (يونيو ٢٠٠٠م).

× تعزيز التفاهم والتعاون بين الشعوب والدول العربية، ودعمه للمنظمات العربية.

× تعزيز التفاهم والتعاون بين الشعوب والدول الإسلامية، ودعمه للمنظمات الإسلامية، وقد نتج عن ذلك حصوله حفظه الله على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام لعام ٢٠٠٨م.

× تعزيز التفاهم والتعاون العالمي، ودعم مختلف المنظمات الدولية.

اعتبر خادم الحرمين الشريفين أن نشر ثقافة السلام ومبادرات الحوار فيما بين الثقافات والشعوب وحماية حقوق الإنسان وسيادة القانون تعد عناصر أساسية في أي إستراتيجية فعالة لمكافحة الإرهاب والتطرف. وفي سبيل المساهمة بدفع التعاون الدولي في مجال مكافحة الإرهاب إلى الأمام، اتخذ المبادرات التالية:

١- عقد مؤتمر دولي لمكافحة الإرهاب في الرياض (فبراير ٢٠٠٥م) حضره خبراء ومختصين من أكثر من ٦٠ دولة ومنظمة دولية وإقليمية. وقد أكد «إعلان الرياض» الصادر عن المؤتمر على وحدة الإرادة الدولية في مواجهة الإرهاب والتطرف، وعلى توصيات عملية تغطي مجالات مكافحة الإرهاب ومنع مصادر تمويله وتحقيق المزيد من التعاون متعدد الأطراف في سبيل ذلك.

٢- دعوته إلى إنشاء مركز دولي لمكافحة الإرهاب تحت مظلة الأمم المتحدة، وتبنيه لعقد مؤتمر لمكافحة الإرهاب، وهو يسعى جاهدا لأن يجد المركز طريقه للتطبيق.

٣- تبنى برنامج وطني للحوار الفكري مع المتطرفين دينيا وإعادة تأهيلهم كوسيلة لاحتواء التطرف وكجزء رئيسي من إستراتيجية مكافحة الإرهاب. وقد حقق البرنامج نجاحاً كبيراً في إصلاح الكثيرين، وفي التوعية بأخطار التطرف.

«إن انعقاد هذا المؤتمر الذي يضم دولا تنتمي إلى حضارات مختلفة وأديان مختلفة وأنظمة مختلفة لهو البرهان الأكيد على أن الإرهاب عندما يختار ضحاياه لا يفرق بين الحضارات أو الأديان أو الأنظمة. والسبب هو أن الإرهاب لا ينتمي إلى حضارة ولا ينتسب إلى دين ولا يعرف ولاء لنظام. الإرهاب شبكة إجرامية عالمية صنعتها عقول شريرة مملوءة بالحقد على الإنسانية ومشحونة بالرغبة العمياء في القتل والتدمير. إن هذا المؤتمر يمثل عزم الأسرة الدولية على التصدي لهذه الشبكة الإجرامية في كل ميدان: مكافحة سلاح الغدر بسلاح العدالة، ومحاربة الفكرة الفاسدة بالفكرة الصالحة، ومواجهة خطاب التطرف بخطاب الاعتدال والتسامح.

(من كلمة خادم الحرمين الشريفين في المؤتمر الدولي لمكافحة الإرهاب، الرياض (فبراير ٢٠٠٥م)

«إن الإرهاب والإجرام أعداء الله، وأعداء كل من دين وحضارة، وما كانوا ليظهروا لولا غياب مبدأ التسامح».

(من كلمة الملك عبدالله بن عبدالعزيز في مؤتمر الحوار بين الأديان والتعاون من أجل السلام»، الاجتماع الاستثنائي للجمعية العامة للأمم المتحدة، نيويورك (نوفمبر ٢٠٠٨م).

*** يتفاعل الملك عبدالله بن عبدالعزيز بايجابية مع أي جهود دولية أو إقليمية تبذل لتعزيز السلام والتعاون الدوليين.**

* من كتاب ملك الإنسانية الذي نشرته كلية الاقتصاد والادارة بجامعة الملك عبدالعزيز، وحرره الدكتور وليد السديري الأستاذ بالكلية وأشرف عليه الدكتور الفتوي عميد الكلية وقد صدر باللغتين العربية والانجليزية.